ISSN 2614-8587 (online)
ISSN 2615-5125 (Print)

دراسة تأصيلية مفاهيمية لمصطلحات دينية: سبحانه وتعالى– تبارك وتعالى– عز وجل.

عبد المُحسن علي القيسي

Al Musta'rib Al Asiawi, Malaysia
drmohsin56@yahoo.com

مُلخّص

تهدف الدراسة بحث الأصل الشرعي لمصطلحات: سبحانه وتعالى– تبارك وتعالى– عز وجل، وانعكاساتها الدينية في حياة المسلمين، من خلال الإجابة عن أسئلة الدراسة، وهي: ما مفهوم الأصل الديني لاستخدام تلك المصطلحات، وما مرتكزات الأصل؟ وما أبرز دلالاتها وأبعادها؟ والأهمية تأتي من كون هذه الدراسة نظرية تأصيلية مفاهيمية، وانطلقت الدراسة معتمدة المنهج الوصفي الاستقرائي، كما أن منهجيتي في توثيق البيانات أن أذكر المرجع والمؤلف مع رقم الصفحة أو اسم الموقع الإلكتروني في الهامش، مكتفياً بتفاصيل البيانات في قائمة المراجع، وتكمن الإشكالية[1] في مفهوم الأصل الديني[2] ودلالاته وأبعاده. ومن نتائج الدراسة: التسبيح هو اصطلاح قرآني افتتحت به بعض سور القرآن الكريم بصيغ مختلفة وجاء الأمر به ومدح القائمين به فعلاً أو قولاً، هذا من حيث أصله، لكني لم أجد أي دراسة تتبعت المصطلح وبينت دلالاته وأبعاده فبرهنت هذه الدراسة أنَّ الأصل في استخدامها أولاً جاء في القرآن الكريم كتاب العربية الأول ومعجمها التركيبي الذي لا يبارى، لأنه من لدن حكيم خبير، وثانياً ما جاء في السُنَّة النبوية المطهرة. الإطار المنهجي للدراسة: انقسم البحث إلى أربعة محاور تتشكل في مجموعها من تسعة عشر مطلباً، المحور الأول/ تحرير المصطلح، المحور الثاني/ مفهوم الدين في الثقافة الإسلامية، وجاء المحور الثالث/ التأصيل من الكتاب والسُنَّة النبوية الشريفة، ثم المحور الرابع/الأبعاد والدلالات.

الكلمات المفتاحية: دراسة تأصيلية مفاهيمية، سبحانه وتعالى، تبارك وتعالى، عز وجل

[1] أيوب جرجيس العطية، الخطاب القرآني بين إشكالية الفهم ودلالة النص، ص١٥.

[2] محمد فؤاد عبد الباقي، معجم ألفاظ القرآن الكريم، مادة (دين)، ص٣٢٩-٣٣٠.

خلفية البحث:

تؤدي المصطلحات وظائف عديدة ومن بين تلك الوظائف الوظيفة الدينية، وبالنظر لأهمية تلك الوظائف التي تؤديها المصطلحات، جاءت هذه الدراسة للكشف عن دلالاتها وأبعادها لما لها من أهمية بالغة في حياة المسلم، ولقد سارت الدراسة بخطى وئيدة تمشياً مع وحدة عناصرها مستخلصة مادتها العلمية من المضان الأصلية وفي مقدمتها الكتاب والسُنَّة الشريفة، والتصور العام كالآتي:

تهدف الدراسة بحث الأصل الشرعي لمصطلحات: سبحانه وتعالى- تبارك وتعالى- عز وجل، وانعكاساتها الدينية في حياة المسلمين، من خلال الإجابة عن أسئلة الدراسة، وهي: ما مفهوم الأصل الديني لاستخدام تلك المصطلحات، وما مرتكزات الأصل؟ وما أبرز دلالاتها وأبعادها؟.

والأهمية تأتي من كون هذه الدراسة نظرية تأصيلية مفاهيمية، وانطلقت الدراسة معتمدة المنهج الوصفي الاستقرائي، كما أن منهجيتي في توثيق البيانات أن أذكر المرجع والمؤلف مع رقم الصفحة أو اسم الموقع الإلكتروني، مكتفياً بتفاصيل البيانات في قائمة المراجع، وتكمن الإشكالية[٣] في مفهوم الأصل الديني[٤] ودلالاته وأبعاده.

ومن نتائج الدراسة: التسبيح هو اصطلاح قرآني افتتحت به بعض سور القرآن الكريم بصيغ مختلفة وجاء الأمر به ومدح القائمين به فعلاً أو قولاً، هذا من حيث أصله، لكني لم أجد أي دراسة تتبعت المصطلح وبينت دلالاته وأبعاده فبرهنت هذه الدراسة أنَّ الأصل في استخدامها جاء في القرآن الكريم كتاب العربية الأول ومعجمها التركيبي الذي لا يبارى، لأنه من لدن حكيم خبير، وثانيا ما جاء في السُنَّة النبوية المطهرة.

الإطار المنهجي للدراسة: انقسم البحث إلى أربعة محاور تتشكل في مجموعها من تسعة عشر مطلباً، المحور الأول/ تحرير المصطلح، والمحور الثاني/ مفهوم الدين في الثقافة الإسلامية، وجاء المحور الثالث/ التأصيل من الكتاب والسُنَّة النبوية الشريفة، ثم المحور الرابع/الأبعاد والدلالات، وختمت الدراسة بتعقيب على ما ورد فيها مع قائمة المصادر.

المحور الأول/ تحرير المصطلح:

المطلب الأول/ كتب التفسير:

[٣] أيوب جرجيس العطية، الخطاب القرآني بين إشكالية الفهم ودلالة النص، ص١٧، مرجع سابق.

[٤] محمد فؤاد عبد الباقي، معجم ألفاظ القرآن الكريم، مادة (دين)، ص٣٢٩-٣٣٠.

مصطلح سبحانه وتعالى: عبارة سبحان الله: والتسبيح هو اصطلاح قرآني افتتحت به بعض السور بصيغ مختلفة وجاء الأمر به ومدح القائمين به فعلاً أو قولاً، هذا من حيث أصله، أما معناه: سبحان- مصدر سَبَحَ، سُبْحَانَ اللَّهِ كلمة تنزيه وتقديس، أو تعجّب، ولا تقال إلاّ لله تعالى سبحانَ الله: أنزّه الله عن كلّ سُوء، هُوَ أَعْلَمُ بِمَا فِي سُبْحَانِهِ: أَيْ مَا فِي نَفْسِهِ، سُبحَانَ اللَّهِ مِنْ كَذَا: أيْ تَعَجُّبٌ مِنْهُ، وَهُوَ مَنْصُوبٌ علَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ[٥].

كما أن لفظ (سبحان) أصله مصدر نحو "غفران[٦]"، قال تعالى {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ} [الروم١٧]، {قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [البقرة٣٢]، والسبوح والقدوس من اسماء الله تعالى {لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الزمر٤].

وكلمة التسبيح "سبحان الله" تتضمن أصلا عظيما من أصول التوحيد، وركنا أساسيا من أركان الإيمان بالله عز وجل، وهو تنزيهه سبحانه وتعالى عن العيب، والنقص، والأوهام الفاسدة، والظنون الكاذبة[٧]، وأصلها اللغوي يدل على هذا المعنى، فهي مأخوذة من "السَّبْح": وهو البُعد: فالعرب تقول: سبحان مِن كذا، أي ما أبعدَه، وتأويلُهُ عجباً له إذَا يَفْخَر، وهذا قريبٌ من ذاك؛ لأنَّه تبعيدٌ له من الفَخْر[٨]".

فتسبيح الله عز وجل إبعاد القلوب والأفكار عن أن تظن به نقصا، أو تنسب إليه شرا، وتنزيهه عن كل عيب نسبه إليه المشركون والملحدون[٩]، فوحدانية الله سبحانه وتعالى هي أصل الصفات لأن الله سبحانه وتعالى واحد في ذاته واحداً في صفاته، واحداً في أفعاله فلا شبيه له في ذات أو صفة أو فعل، وأعظم معاني التسبيح هو تنزيه الله عن أي شبيه ومثيل له في الذات أو في الصفات، وفي كونه وحده الإله الحق الذي لا إله إلا هو.

وبهذا المعنى جاء السياق القرآني {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ}[المؤمنون٩١]. وقال عز من قائل {وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ}[الصافات١٥٨-١٥٩]، وقال تعالى {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ}الحشر٢٣].

---

[٥] مُحَمَّد بن إسحاق كندو، التسبيح في الكتاب والسُّنَّة والرد على المفاهيم الخاطئة فيه، ج٢/ص٦٢٦، وانظر: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مخلوف بن أبي زيد الثعالبي المالكي، تفسير الثعالبي المسمى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، ج١/ص٢٠٧.

[٦] المرجع والصفحة نفسهما، وانظر: الجرجاني، علي بن مُحَمَّد، التعريفات، ج٢/ص٥٤٣.

[٧] أحمد مختار عمر، المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، ص٩٤٨.

[٨] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣/ ص٩٦، وانظر: عمرو خاطر عبد الغني وهدان، المناسبة بين الأبنية المتماثلة في القرآن، موقع quran-m-com.

[٩] عبد الرحمن بن عبد الخالق، المعنى التفصيلي لتسبيح الله جل وعلا، موقع www.salafi.net.articles.

وقد روى أهل الإسناد الصحيح في وصف قراءة سيدنا النبي مُحَمَّد ﷺ في صلاة الليل قال: وَإِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَنْزِيهٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَبَّحَ[١٠]، "سبحان الله": تنزيه الله عز وجل عن كل سوء[١١].

وعن يزيد بن الأصم قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال: "لا إله إلا الله " نعرفها: لا إله غيره، و "الحمد لله" نعرفها: أن النعم كلها منه، وهو المحمود عليها، و "الله أكبر" نعرفها: لا شيء أكبر منه، فما "سبحان الله" قال: كلمة رضيها الله عز وجل لنفسه، وأمر بها ملائكته، وفزع لها الأخيار من خلقه.

وعن عبد الله بن بريدة يحدث أن رجلا سأل عليا ﷺ عن "سبحان الله"، فقال: تعظيم جلال الله.

وعن مجاهد قال: التسبيح: انكفاف الله من كل سوء.

وعن ميمون بن مهران قال: "سبحان الله": تعظيم الله اسم يعظم الله به.

وعن الحسن قال: "سبحان الله": اسم ممنوع لم يستطع أحد من الخلق أن ينتحله.

وعن أبي عبيدة معمر بن المثنى "سبحان الله": تنزيه الله وتبرئته.

والعرب إذا أنكرت الشيء وأعظمته قالت: "سبحان"، فكأنه تنزيه الله عز وجل عن كل سوء لا ينبغي أن يوصف بغير صفته، ونصبته على معنى تسبيحا لله.

والأمر بتسبيحه يقتضي أيضا تنزيهه عن كل عيب وسوء، وإثبات صفات الكمال له، فإن التسبيح يقتضي التنزيه، والتعظيم، والتعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يحمد عليها، فيقتضي ذلك تنزيهه، وتحميده، وتكبيره، وتوحيده[١٢]".

وسبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أي: بقوتك التي هي نعمة توجب علي حمدك، سبحتك، لا بحولي وبقوتي، كأنه يريد أن ذلك مما أقيم فيه السبب مقام المسبب[١٣]".

تعالى– فتفسير عبارة الجن التي حكاها الله عنهم: {وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا}[الجن٣]، كتفسير دعاء استفتاح الصلاة أيضا (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، تَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُك)[١٤]، والمقصود في كل

[١٠] أحمد بن حنبل، المسند، ج ٥/ص٣٨٤.

[١١] الطبراني، –الدعاء– أورد مجموعة من الآثار في تفسير كلمة التسبيح، جمعها في باب: تفسير التسبيح، ص٤٩٨–٥٠٠.

[١٢] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج٢/ص٢٠٨.

[١٣] ابن الأثير، غريب الحديث، ج١/ص٤٥٧.

[١٤] مسلم، برقم ٣٩٩.

منهما: تعالت وارتفعت عظمة الله تعالى، وكبرياؤه، وعزته، ونحو ذلك من المعاني التي فيها تعظيم الله تعالى وإجلاله. وللمفسرين في معنى: {تعالى جَدُّ ربّنا} سبعة أقوال[١٥]:

أحدها: قدرة ربنا، قاله ابن عباس.

والثاني: غنى ربنا، قاله الحسن.

والثالث: جلال ربنا، قاله مجاهد وعكرمة.

والرابع: عظمة ربنا، قاله قتادة.

والخامس: أمر ربنا، قاله السُّدِّي.

والسادس: ارتفاعُ ذِكْرِهِ وعظمته، قاله مقاتل.

والسابع: مُلك ربنا وثناؤه وسلطانه، قاله أبو عبيدة[١٦]".

وهذه المعاني كلها متقاربة وتدل على عظمة الله تعالى وكبريائه، والمعنى الإجمالي منها في الآية: هو التعبير عن الشعور باستعلاء الله سبحانه وبعظمته وجلاله عن أن يتخذ صاحبة، أي: زوجة، وولداً، بنين أو بنات[١٧]!

مصطلح تبارك وتعالى: يتبارك تبارُك، فهو مُتبارِك، والمفعول مُتبارَك به، تبارك اللهُ: تقدَّسَ وتنزَّه وتعالى، تَبَارَكَ الرَّجُلُ: طَلَبَ البَرَكَةَ وَفَازَ بِهَا[١٨].

مصطلح عز وجل: عز: العزة حالة مانعة للإنسان من أن يُغلَب، من قولهم: أرض عَزازٌ: أي صلبة[١٩]، قال تعالى {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا}[النساء١٣٩]، {يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [المنافقون٨]، {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ}[الصافات١٨٠]، ومعنى العزة لله ولرسوله وللمؤمنين هي العزة

---

[١٥] حسنين مُحَمَّد مخلوف، كلمات القرآن تفسير وبيان، ص١٢٩، وانظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ج٨/ص٣٧٨.

[١٦] حسنين مُحَمَّد مخلوف، كلمات القرآن تفسير وبيان، ص١٣١، مرجع سابق، وانظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج١/ص٣٦٤، وانظر: مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٤/ص٢٢٢، وانظر: عبد الرحمن السعدي، تفسير الكريم المنان، ص١٠٥٥، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تفسير سورة الجن.

[١٧] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٦/ص١٢٣.

[١٨] المعجم العربي الأساسي، ص١٤٩، و المعجم الوسيط، ص٥١، ومختار الصِحاح، ص٥٠، والقاموس المحيط، ص٩٣٢، و لسان العرب، ج١٠/ص٣٩٥، برك، و ابنَ دُرَيد، جمهرة اللّغة، ج١/ص٢٣٧، برك، وابنَ سِيدَة، المحكم والمحيط الأعظم، ج٧/ص٢٣، والزّبيديّ، تاج العروس، ج٧/ص٥٩.

[١٩] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص٥٦٣، وانظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ع ز)، مرجع سابق، والسيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج٢/ص١٩٩.

الدائمة الباقية الحقيقية، {مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ} [فاطر١٠]، {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران٢٦].

جلّ- الجلالة[٢٠]: عظم القدر، والجلال بغير الهاء التناهي في ذلك، وخص بوصف الله تعالى {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}[الرحمن٧٨].

المطلب الثاني/المعاجم:

من المعاني للجذر (سَبَحَ): جنس من العبادة، جنس من السعي، صلاة، راحة، العوم، الجري، التنزيه[٢١]، وسبحنَ يُسبحن، سبحنةً، فهو مُسبحِن، سبحن المصلّي: سَبْحَل، قال سبحان الله[٢٢]، وسبح: السبح والسباحة: العوم سبح بالنهر وفيه يسبح سبحا وسباحة، ورجل سابح وسبوح من قوم سبحاء، وسباح من قوم سباحين؛ وأما ابن الأعرابي: فجعل السبحاء جمع سابح وبه فسر قول الشاعر:

وماء يغرق السبحاء فيه سفينته المواشكة الخبوب

قال: السبحاء جمع سابح، ويعني بالماء هنا السراب، والمواشكة: الجادة في سيرها والخبوب من الخبب في السير جعل الناقة مثل السفينة حين جعل السراب كالماء، وأسبح الرجل في الماء: عومه؛ قال أمية:

والمسبح الخشب فوق الماء سخرها في اليم جريتها ، كأنها عوم

وسبح الفرس: جريه. وفرس سبوح وسابح: يسبح بيديه في سيره. والسوابح: الخيل لأنها تسبح وهي صفة غالبة. وفي حديث المقداد أنه كان يوم بدر على فرس، يقال: له سبحة؛ قال ابن الأثير: هو من قولهم فرس سابح إذا كان حسن مد اليدين في الجري؛ وقوله أنشده ثعلب:

لقد كان فيها للأمانة موضع وللعين ملتذ ، وللكف مسبح

[٢٠] الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، ج٢/ص٢٨٥، والراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص١٩٨، وانظر: تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر الجوهري، اسماعيل بن حماد، و المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ص٣٠٠. وانظر: الحسن بن محمّد بن الحسن الصفاني، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، ج١/ص١٢٣.

[٢١] أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المُعاصرة، مادة (س ب ح).

[٢٢] معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، مادة (س ب ح).

فسره فقال: معناه إذا لمستها الكف، وجدت فيها جميع ما تريد. والنجوم تسبح في الفلك سبحا إذا جرت في دورانها. والسبح: الفراغ. وقوله تعالى {إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا}[المزمل٧]، إنما يعني به فراغا طويلا، وتصرفا وقال الليث: معناه فراغا للنوم؛ وقال أبو عبيدة: تقلبا طويلا، وقال المؤرج: والفراغ والجيئة والذهاب؛ قال أبو الدقيش: ويكون السبح أيضا فراغا بالليل، وقال الفراء: يقول لك في النهار ما تقضي حوائجك؛ قال أبو إسحاق: من قرأ سبخا فمعناه قريب من السبح، وقال ابن الأعرابي: من قرأ سبحا فمعناه اضطرابا ومعاشا، ومن قرأ سبخا، أراد راحة وتخفيفا للأبدان. قال ابن الفرج سمعت أبا الجهم الجعفري يقول: سبحت في الأرض وسبخت فيها إذا تباعدت فيها؛ ومنه قوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}[الأنبياء٣٣]، أي يجرون، ولم يقل تسبح لأنه وصفها بفعل من يعقل؛ وكذلك قوله {وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا} [النازعات٣]، هي النجوم تسبح في الفلك، أي تذهب فيها بسطا كما يسبح السابح في الماء سبحا، وكذلك السابح من الخيل يمد يديه في الجري سبحا؛ وقال الأعشى:

كم فيهم من شطبة خيفق وسابح ذي ميعة ضامر

وقال الأزهري في قوله عز وجل{وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا}[النازعات٣-٤]؛ قيل: السابحات السفن، والسابقات الخيل، وقيل: إنها أرواح المؤمنين تخرج بسهولة؛ وقيل: الملائكة تسبح بين السماء والأرض. وسبح اليربوع في الأرض إذا حفر فيها، سبح في الكلام إذا أكثر فيه. والتسبيح: التنزيه. وسبحان الله: معناه تنزيها لله من الصاحبة والولد، وقيل: تنزيه الله تعالى عن كل ما لا ينبغي له أن يوصف، قال: ونصبه أنه في موضع فعل على معنى تسبيحا له، تقول: سبحت الله تسبيحا له أي نزهته تنزيها، قال: وكذلك روي عن النبي، ﷺ، وقال الزجاج في قوله تعالى {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}[الإسراء١]، قال: منصوب على المصدر؛ المعنى أسبح الله تسبيحا. قال: وسبحان في اللغة تنزيه الله عز وجل عن السوء؛ قال ابن شميل: سبحان الله السرعة إليه والخفة في طاعته، وجماع معناه بعده تبارك وتعالى عن أن يكون له مثل أو شريك أو ند أو ضد، قال سيبويه: زعم أبو الخطاب أن سبحان الله كقولك براءة الله أي أبرئ الله من السوء براءة؛ وقيل: قوله سبحانك أي أنزهك يا رب من كل سوء وأبرئك. وروى الأزهري بإسناده أن ابن الكوا سأل علي، رضوان الله تعالى عليه، عن سبحان الله: فقال: كلمة رضيها الله لنفسه فأوصى بها. والعرب تقول سبحان من كذا إذا تعجبت منه وزعم أن قول الأعشى في معنى البراءة أيضا:

أقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر

أي براءة منه؛ وكذلك تسبيحه تبعيده؛ وبهذا استدل على أن سبحان معرفة إذ لو كان نكرة لانصرف. ومعنى هذا البيت أيضا العجب منه إذ يفخر، قال: وإنما لم ينون لأنه معرفة وفيه شبه التأنيث؛ وقال ابن بري: إنما امتنع صرفه للتعريف وزيادة الألف والنون، وتعريفه كونه اسما علما للبراءة كما أن نزال اسم علم للنزول، وشتان اسم علم للتفرق؛ قال: وقد جاء في الشعر سبحان منونة نكرة؛ قال أمية:

سبحانه ثم سبحانا يعود له وقبلنا سبح الجودي والجمد

وقال ابن جني: سبحان اسم علم لمعنى البراءة والتنزيه بمنزلة عثمان وعمران، اجتمع في سبحان التعريف والألف والنون، وكلاهما علة تمنع من الصرف. وسبح الرجل: قال: سبحان الله؛ وفي التنزيل {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ}[النور٤١]؛ قال رؤبة:

سبحن واسترجعن من تأله

وسبح: لغة، حكى ثعلب: سبح تسبيحا وسبحانا، وعندي أن سبحانا ليس بمصدر سبح، إنما هو مصدر سبح. وفي التهذيب: سبحت الله تسبيحا وسبحانا بمعنى واحد فالمصدر تسبيح والاسم سبحان يقوم مقام المصدر. وأما قوله تعالى {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}[الإسراء٤٤]، قال أبو إسحاق: قيل: إن كل ما خلق الله يسبح بحمده، وإن صرير السقف وصرير الباب من التسبيح، فيكون على هذا الخطاب للمشركين وحدهم: ولكن لا تفقهون تسبيحهم: وجائز أن يكون تسبيح هذه الأشياء بما الله به أعلم لا نفقه منه إلا ما علمناه، قال: وقال قوم {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ}؛ أي ما من دابة إلا وفيه دليل أن الله، عز وجل، خالقه وأن خالقه حكيم مبرأ من الأسواء، ولكنكم أيها الكفار لا تفقهون أثر الصنعة في هذه المخلوقات؛ قال أبو إسحاق: وليس هذا بشيء لأن الذين خوطبوا بهذا كانوا مقرين أن الله خالقهم وخالق السماء والأرض ومن فيهن، فكيف يجهلون الخلقة وهم عارفون بها؟ قال الأزهري: ومما يدلك على أن تسبيح هذه المخلوقات تسبيح تعبدت به قول الله عز وجل للجبال: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ}[سبأ١٠]، ومعنى أوبي سبحي مع داود النهار كله إلى الليل؛ ولا يجوز أن يكون معنى أمر الله عز وجل للجبال بالتأويب إلا تعبدا لها؛ وكذلك قوله تعالى{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ}[الحج١٨]؛ فسجود هذه المخلوقات عبادة منها لخالقها لا نفقهها عنها كما لا نفقه تسبيحها؛ وكذلك قوله {وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}[البقرة٧٤]، وقد علم الله

هبوطها من خشيته ولم يعرفنا ذلك فنحن نؤمن بما أعلمنا ولا ندعي بما لا نكلف بأفهامنا من علم فعلها كيفية نحدها. ومن صفات الله عز وجل: السبوح القدوس؛ قال أبو إسحاق: السبوح الذي ينزه عن كل سوء، والقدوس المبارك، وقيل: الطاهر؛ وقال ابن سيده: سبوح قدوس من صفة الله، عز وجل، لأنه يسبح ويقدس، ويقال: سبوح قدوس؛ قال اللحياني: المجتمع عليه فيها الضم، قال: فإن فتحته فجائز؛ هذه حكايته. ولا أدري ما هي، قال سيبويه: إنما قولهم سبوح قدوس رب الملائكة والروح فليس بمنزلة سبحان، لأن سبوحا قدوسا صفة كأنك قلت ذكرت سبوحا قدوسا، فنصبته على إضمار الفعل المتروك إظهاره كأنه خطر على باله، أنه ذكره ذاكر، فقال: سبوحا أي ذكرت سبوحا أو ذكره هو في نفسه فأضمر مثل ذلك، فأما رفعه فعلى إضمار المبتدأ، وترك إظهار ما يرفع كترك إظهار ما ينصب؛ قال أبو إسحاق: وليس في كلام العرب بناء على فعول بضم أوله غير هذين الاسمين الجليلين وحرف آخر وهو قولهم للذريح وهي دويبة ذروح زادها ابن سيده؛ فقال: وفروج قال: وقد يفتحان كما يفتح سبوح وقدوس روى ذلك كراع، وقال ثعلب: كل اسم على فعول فهو مفتوح الأول إلا السبوح والقدوس، فإن الضم فيهما أكثر؛ وقال سيبويه: ليس في الكلام فعول بواحدة، هذا قول الجوهري قال الأزهري: وسائر الأسماء تجيء على فعول مثل سفود وقفور وقبور وما أشبهها، والفتح فيهما أقيس، والضم أكثر استعمالا، وهما من أبنية المبالغة والمراد بهما التنزيه، وسبحات وجه الله، بضم السين والباء: أنواره وجلاله وعظمته، وقال جبريل عليه السلام: إن لله دون العرش سبعين حجابا لو دنونا من أحدها لأحرقتنا سبحات وجه ربنا؛ رواه صاحب العين، قال ابن الشميل: سبحات وجهه نور وجهه وفي حديث آخر حجابه النور والنار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره سبحات وجه الله جلاله وعظمته، وهي في الأصل جمع سبحة؛ وقيل: أضواء وجهه؛ وقيل: سبحات الوجه محاسنه لأنك إذا رأيت الحسن الوجه قلت سبحان الله! وقيل: معناه تنزيه له أي سبحان وجهه؛ وقيل: سبحات وجهه كلام معترض بين الفعل والمفعول أي لو كشفها لأحرقت كل شيء أدركه بصره، فكأنه قال: لأحرقت سبحات الله كل شيء أبصره كما تقول لو دخل الملك البلد لقتل، والعياذ بالله، كل من فيه؛ قال: وأقرب من هذا كله أن المعنى لو انكشف من أنوار الله التي تحجب العباد عنه شيء لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور، كما خر النبي موسى صعقا وتقطع الجبل دكا، لما تجلى الله سبحانه وتعالى؛ ويقال: السبحات مواضع السجود. والسبحة: الخرزات التي يعد المسبح بها تسبيحه، وهي كلمة مولدة. وقد يكون التسبيح بمعنى الصلاة والذكر تقول قضيت سبحتي، وروي أن عمر، ﷺ: جلد رجلين سبحا بعد العصر أي صليا[٢٣].

[٢٣] الأزهري، والجوهري، وابن منظور، والزبيدي، مادة (س ب ح).

ويواجهنا سؤال مفاده: هل التسبيح هو التقديس؟ هذا ما سنبحثه في هذه الفقرة: هما يرجعان إلى معنى واحد، وهو تبعيد الله عن السوء، وقال بعضهم: بين التسبيح والتقديس فرق، وهو أن التسبيح هو التنزيه عن الشرك والعجز والنقص، والتقديس هو التنزيه عما ذكروه عن التعلق بالجسم، وقبول الانفعال وشوائب الإمكان، وإمكان التعدد في ذاته وصفاته، وكون الشيء من كمالاته بالقوة، والتقديس أعم، إذْ كل مقدس مسبح من غير عكس، وذلك لأن الإبعاد من الذهاب في الأرض أكثر من الإبعاد في الماء، فالملائكة المقربون الذين هم أرواح مجردة بتجردهم وامتناع تعلقهم، وعدم احتجابهم عن نور ربهم، وقهرهم لما تحتهم بإضافة النور عليهم، وتأثيرهم في غيرهم، وكون كل كمالاتهم بالفعل مسبحون ومقدسون، وغيرهم من الملائكة السماوية والأرضية ببساطة ذواتهم وخواص أفعالهم وكمالاتهم مسبحون بل كل شيء مسبح وليس بمقدس، ويقال سبوح قدوس، ولا يعكس، وقال بعض الباحثين: التسبيح هو تنزيه الله عمّا لا يليق بجاهه من صفات النقص، والتقديس لا يختص به سبحانه بل يستعمل في حق الآدمي، يقال: فلان رجل مقدس، إذا أُريدَ تبعيده عن مسقطات العدالة ووصفه بالخير، ولا يقال: رجل مسبح، بل ربما يستعمل في غير ذوي العقول أيضا، فيقال: قدس الله روح فلان، ولا يقال: سبحه، ومن ذلك قوله تعالى {يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ}[المائدة٢١]، يعني أرض، ومنها يسمى (بيت المقدس)، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، أما قول الملائكة (سبوح قدوس) المراد وصفه سبحانه دون غيره[٢٤].

سبحانه وتعالى: مصدر سَبَحَ- سبْحَانَ اللَّهِ: كلمة تنزيه أو تعجّب، ولا تقال إلاّ لله تعالى سبحانَ الله أنزّه الله عن كلّ سُوء، هوَ أعْلَمُ بِمَا فِي سُبْحَانِهِ: أَيْ مَا فِي نَفْسِهِ، سبْحَانَ اللَّهِ مِنْ كَذَا: أيْ تَعَجُّبٌ مِنْهُ، وَهُوَ مَنْصُوبٌ علَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ، وأيضاً: التسبيح تنزيه الحق عن نقائض الإمكان والحدوث[٢٥].

تبارك وتعالى: وتَبارَكَ اللهُ تَنزَّهَ وتعالى وتَعاظمَ لا تكونُ هذه الصِّفةُ لغيرِه، أي تطَهَّرَ، والقُدْس الطُّهر[٢٦]، وتبارك لا يُوصَفُ به إلاّ اللهُ تبارك وتعالى، ولا يُقال: تباركَ فلانٌ في معنى جلَّ وعَظُمَ؛ هذه صِفةٌ لا تنبغي إلّا لله عزّ وجلّ[٢٧].

[٢٤] معاجم أنطولوجي، موقع http://ontology.birzeit.edu/term.

[٢٥] علي بن محمّد الجرجاني، التعريفات، ج٢/ص٤٥٣.

[٢٦] المعجم العربي الأساسي، ص١٤٩، المعجم الوسيط، ص٥١، مختار الصحاح، ص٥٠، لسان العرب، ج١٠/ص٣٩٥، برك، وانظر: الصاغاني، العباب الزاخر، مادة ب ر ك.

[٢٧] ابن دريد، جمهرة اللغة، ج١/ص٢٣٧.

وتَبَارَكَ اللهُ تَنَزَّهَ، صِفَةٌ خاصَّةٌ باللهِ تعالى[٢٨]. وتبارَكَ اللهُ: تَقدَّسَ وتَنزَّهَ وتعالى وتَعاظمَ، لا تكونُ هذه الصِّفة لغيره[٢٩]. وتَبارَكَ اللهُ أي: تَقَدَّسَ وتَنَزَّهَ وتَعالى وتَعاظَم صِفَةٌ خاصَّةٌ باللهِ تَعالَى لا تكونُ لغيرِه[٣٠].

عز وجل: **عزَّ** على عَزَزْتُ، يَعِزّ، **اعْزِز، عِزّ عِزًّا** وعَزَازَةً وعِزّةً، فهو عزيز والجمع: أَعزَّةٌ، وأَعِزَّاءُ، وعِزازٌ، والمفعول معزوز عليه، **عزَّ** الشَّخصُ: قوِي وبرئ من الذُّلّ: صَارَ عَزِيزاً، عكسه ذلَّ[٣١].

جل: **جلَّ، جلَّ** على، **جلَّ** عن جلَلْتُ، يَجِلّ، **اجلِلْ، جِلَّ**، جَلالاً وجَلالةً، فهو جَليل وجَلّ، والمفعول مجلولٌ عليه فهو **جَلّ**، وجُلالٌ، وجَليلٌ والجمع: أَجِلَّةٌ، وأَجِلاَّءُ، وأَجْلاَلٌ، وجِلَّةٌ[٣٢].

المطلب الثالث/ نماذج وتطبيقات نحوية:

قال (تعالى): فعل ماضي والفاعل مستتر جوازا تقديره هو يعود على الله سبحانه وتعالى. قال (عز وجل): عز فعل ماضي وجلّ كذلك والفاعل هو، أو نعربها: عز فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، واو: حرف عطف. جلَّ: فعل ماضٍ مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) يعود للذات الإلهية، وجملة عز وجل صلة موصول لا محل لها من الإعراب، الذي: اسم موصول مبني على السكون في محل جر بحرف الجر (واو القسم)، فجملة (والذي عز وجل) جملة قسم[٣٣].

تبارك، تعالى، عز وجل: تعرب أفعال ماضية مبنية على الفتحة المقدرة فيما كان آخره الألف والفتحة الظاهرة في صحيح الآخر والفاعل ضمير مستتر تقدير (هو) عائد على لفظ الجلالة، وهي بمعنى (تنزَّه) واستخدام الفعل الماضي هنا دال على الثبات والاستمرار وهو شامل للماضي والحاضر والمستقبل، وعدها بعضهم جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب، ومذهبهم في ذلك اعتراضها بين فاعل القول (الله) وبين جملة مقول القول، وذهب غيرهم إلى أنها جملة

[٢٨] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص٩٣٢، البركة.
[٢٩] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج٧/ص٢٣.
[٣٠] الزبيدي، تاج العروس، ج٧/ص٥٩.
[٣١] زين الدين الرازي، مختار الصِحاح، مادة (ع ز ز)، مرجع سابق.
[٣٢] المرجع نفسه، مادة (ج ل).
[٣٣] خديجة إيكر، إعراب "سبحانه وتعالى" موقع http://www.atida.org/forums/showthread.php.

حالية[٣٤]، و قال (جل ذكره): فعل وفاعل، قوله (سبحانه وتعالى): سبحان مفعول مطلق والهاء مضاف إليه، وتعالى سبق القول فيه[٣٥].

ملحوظة: قال: تعالى، وقال: عز وجل، وقال: ﷺ، ونحو ذلك يستتر فيها ضمير فاعل (قال) إما لسبق ذكره، وإما للعلم به بدلالة الجملة الدعائية بعدها، وجملة: (تعالى)، وكذلك: جملة (ﷺ) جملة اعتراضية دعائية لا محل لها من الإعراب، وليست حالية، ومثل ذلك قال: ﷺ، قال: رحمه الله، قال: أعزه الله، قال: عليه السلام[٣٦].

المطلب الرابع/ الإعجاز الرقمي في عبارة { سبحانه وتعالى}:

عبارة (سبحانه وتعالى) فهي عبارة رائعة تنزّه الله عن أن يكون له ولد أو شريك أو صاحبة. فلو نتأمل هذه العبارة (سبحانه وتعالى) لوجدنا فيها كلمتين هما كلمة (سبحانه) وكلمة (تعالى) وعند اللجوء إلى لغة الأرقام: كم مرة تكررت كلمة (سبحانه) وكم مرة تكررت كلمة (تعالى)؟ وبعد البحث والتأمل سنجد أن هاتين الكلمتين تأتيان مع بعضهما أحياناً مثل قوله تعالى {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}[الروم٤٠]. وأحياناً تأتي كلمة (سبحانه) منفردة كما في قوله تعالى{قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ}[يونس٦٨]. وأحياناً تأتي كلمة (تعالى) منفردة كما في قوله تعالى {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ}[طه١١٤].

والحقيقة أن كلمة (سبحانه) تكررت في القرآن كله ١٤ مرة، وكلمة (تعالى) تكررت في القرآن كله ١٤ مرة بنفس العدد[٣٧]، و أسردها كالآتي:

١. {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ}[البقرة ١١٦].

٢. {إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ}[النساء١٧١].

٣. {وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ}[الأنعام١٠٠].

٤. {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[التوبة٣١].

٥. {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}[النحل١].

---

[٣٤] رياض عثمان، الأسلوب ودلالة السياق، ص١٠٠.

[٣٥] أحمد كلحي، موسوعة إعراب القرآن الكريم، موقع http://ahmadkelhy.blogspot.my/2012/12/blog-post_4399.html

[٣٦] الأصبهاني، إسماعيل بن محمد، الملقب بـ(قوام السُنَّة)، إعراب القرآن، س ب ح .

[٣٧] نقلاً عن موقع الأُستاذ الفاضل عبد الدائم الكحيل.

٦. {قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ}[يونس٦٨].

٧. {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}[النحل١].

٨. {وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ}[النحل٥٧].

٩. {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا}[الإسراء٤٣].

١٠. {مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ}[مريم٣٥].

١١. {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ} [الأنبياء٢٦].

١٢. {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة٣١].

١٣. {لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الزمر٤].

١٤. {وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر٦٧].

وتكررت كلمة (تعالى) في القرآن ١٤ مرة في الآيات الآتية:

١. {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنعام١٠٠].

٢. {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ۚ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[الأعراف١٩٠].

٣. {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[يونس١٨].

٤. {أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[النحل١].

٥. {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[النحل٣].

٦. {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا}[الإسراء٤٣].

٧. {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا}[طه١١٤].

٨. {عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[المؤمنون٩٢].

٩. {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ}[المؤمنون١١٦].

١٠. {أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[النمل٦٣].

١١. {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[القصص٦٨].

١٢. {سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا}[النساء١٧١].

١٣. {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[الزمر٦٧].

١٤ {وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا}[الجن٣].

المطلب الخامس/ تعليق وتحليل:

١. إن أول آية وردت فيها كلمة (سبحانه) في القرآن هي قوله تعالى {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ}[البقرة١١٦].

أما أول مرة وردت فيها كلمة (تعالى) في القرآن نجدها في قوله تعالى {وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنعام١٠٠] أي أن هذه الآية تقع في سورة الأنعام.

والآن يمكن أن نستنتج أن كلمة (سبحانه) تسبق كلمة (تعالى) لأن سورة البقرة تسبق سورة الأنعام في ترتيب المصحف!!

٢. آخر مرة وردت فيها كلمة (سبحانه) في القرآن في قوله تعالى (وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [الزمر٦٧] أي أن هذه الآية تقع في سورة الزمر.

أما آخر مرة وردت فيها كلمة (تعالى) في القرآن هي قوله {وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا}[الجن٣]، أي أن هذه الآية تقع في سورة الجن.

وهنا أيضاً كلمة (سبحانه) تسبق كلمة (تعالى)، لأن سورة الزمر تأتي قبل سورة الجن في ترتيب المصحف، فسبحان الله منزل القرآن الكريم[٣٨]!

المطلب السادس/ النقد الموضوعي للفظة "تبارك":

فقد تكرر لفظ تبارك،[٣٩] في القرآن والسُنَّة في تسعة مواضع جميعها في وصف المولى عزّ وجلّ، بإسنادِ الفعلِ إليه، سأجملها في هذه الفقرة وأبسطها في الفقرة اللاحقة:

١. {أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف٥٤].

٢. {تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون١٤].

٣. { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً} [الفرقان١].

٤. { تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورا} [الفرقان١٠].

٥. {تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً} [الفرقان٦١].

٦. {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [غافر٦٤].

٧. {وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الزخرف٨٥].

٨. {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرّحمن٧٨].

٩. {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الملك١].

بسط لفظة "تبارك":

أولها/ في سورة الأعراف {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف٥٤]. فلا مناص من الاستئناس بآراء المُفسرين:

[٣٨] عرابي أحمد، الكفاءة القرآنية عند علماء التراث، ص٣٣.

[٣٩] محمد فؤاد عبد الباقي، معجم ألفاظ القرآن الكريم،، مادة (تبارك)، مرجع سابق.

١. لأن الله ذكر قبل الاستواء خلق السماوات وأنه قد تم في ستة أيام– معنى ذلك أن الأيام التي خلق فيها الله تعالى هذا الملكوت وإن كانت من أيام الدنيا فإنها تحتاج إلى زمن والزمن إلى حركة والحركة إلى مكان، فأحاط الله القضية بـ(تبارك) ليعطي الخلق إشارة جلية إلى أنَّ الله متعاظم عن المكان والزمان والحركة والمساحة.

٢. ليلفت انتباه العالمين إلى قضية الاستواء على العرش والتي حار فيها العلماء والحكماء بأنه وإن كان لي عرش فقد تعاظمت ذاتي عن الجلوس عليه وما ذلك إلا لكون العرش مخلوق وما دام مخلوق فلا ينبغي لمخلوق أن يحمل الخالق، والله تعالى من أسمائه القيوم فكيف يجلس أو يستوي على عرشه وهو لا تأخذه سنة ولا نوم ولأن الجلوس يستدعي الراحة والراحة تستدعي السنة والسنة تستدعي النوم وكل ذلك في حق الله محال، ولذا لن يتكرر لفظ (تبارك) مع أي من الآيات التي ذكر فيها الاستواء بعد، لأن الله قد أعطى إشارة كما ذكرنا مع أول آية استواء في القرآن الكريم.

ثانيها/ في سورة المؤمنون من قول الله تعالى {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}[المؤمنون١٤]، ذكر الله تعالى هنا ليقول لخلقه: تعاظم وتعالى شأن الله من التغيير والتبديل من حال إلى حال، لأن ذلك مما يجري على المخلوق منزه عنها الخالق وفى ذلك إعلام لذوي العقول بأنه مهما عبد في الأرض غير الله من ألهتكم المصنوعة ما سمعنا أنها أوجدت طفلا بتلك الكيفية التي يتقلب فيها من طور إلى آخر، ومن هنا جاء بقوله (أحسن الخالقين) ليعلم الجميع أيضا أنه وإن كان الأب شريك في عملية الإيجاد من ناحية السبب إلا أن الله تعالى هو الذى أوجد السبب فتبارك الله.

ثالثها/ في سورة الفرقان من قول الله عز وجل {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}[الفرقان١].

لقد جاء بـ(تبارك) هنا ليرفع الإيهام الذي قد يساور بعض العباد من معنى النزول لأن الذي ينزل لاشك يصعد وفي ذلك إشارة لمعنى الحركة فنزه ذاته بتبارك، أي تعاظم وتعالى شأن الله من النزول والصعود وإنما الذي نزل هو وحي الله[٤٠].

رابعا/ من نفس السورة أيضا {تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا}[الفرقان١٠]. إن الذي يستشعر لذة النعيم وذلك من خلال الأنهار والقصور هو الإنسان المخلوق أما الله فتبارك شأنه عن ذلك وتنزه في صفاته وأسمائه عن التلذذ والنعيم ومن هنا جيء بـ(تبارك).

خامسا/ من نفس السورة أيضاً {تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا}[الفرقان٦١].

لقد اكتشف العلم الحديث ما للبروج والأخاديد الكونية من عظمة وسعة، وإذا كانت هذه هي عظمة وسعة المخلوق فما بالك بعظمة وسعة الخالق!؟ فتبارك الله، كذلك الشمس (السراج)، والقمر (المنير)، كل هؤلاء في خدمة المخلوق أما

[٤٠] السيوطي، أسباب النزول، ص١١٤.

الخالق فغني عن العالمين لا شمس ولا قمر ولا نجم ولا مجرة، الكل طوع إرادة من خلقه، الله منزه عنه الله، فتبارك الله رب العرش العظيم[٤١].

سادسا/ في سورة غافر {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[غافر٦٤].

ولقد ذكر الله تعالى لفظ (تبارك) هنا ليدل على تنزيهه وعلو شأنه عن القرار الذي يحمل المخلوق وهو الأرض وكذلك عن الصورة إذ أن الله {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}[الشورى١١]، ومن هنا كان ذكر تبارك[٤٢].

سابعا/ في سورة الزخرف {وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الزخرف٨٥]، لما أتى الله بـ(تبارك) هنا ليعلم الخلق أن المالك لهذا الوجود لا ينتفع بالموجود من عين الوجود مع أن كل الأملاك له ملك ولا شك أنه ينتفع بمالكيته لما يملك، فتعاظم وتقدس عن مثل ذلك رغم أنه مالك وملك فتبارك الله[٤٣].

ثامنا/ من سورة الملك {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[الملك١]، ولما كان الله تعالى سيذكر اليد فقد أحاطها بسياج (تبارك) حتى لا تشرد عقولكم في كنه يده جل وعلا، لأن الله تعالى معظم في ذاته ومنزه عن مشاكلة الحوادث[٤٤].

تاسعا/من سورة الرحمن {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}[الرحمن٧٨]. والمعنى هنا هو كثرَ خيْرُه وإحسانه، وهو، التفسير منتهى البركة في الاسم والتي هي من بركة المسمى به وهو الله سبحانه وتعالى[٤٥].

تنبيه: لا يجوز شرعًا كما لا يَصِحُّ لغةً أن تُسنَدَ لفظة (تبارك) أو يُوصَفَ بها غيرُ اللهِ تَباركَ وتعالى؛ نظرًا لما يَتضمّنه قالبُها اللّفظيّ من دلالة ومعنًى لا يَستحقّه إلاّ هو سبحانه وتعالى[٤٦].

الخاتمة

أ. الخلاصة:

[٤١] محمد متولي الشعراوي، معجزة القرآن، ج٨/ص٢٧.

[٤٢] جوهري، طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، تفسير سورة الشورى.

[٤٣] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية، ج١/ص١٥١.

[٤٤] طارق محمد عبد الحميد، التفسير العصري للقرآن الكريم- روح القرآن، ص١٨٠.

[٤٥] البغوي، الحسين بن مسعود البغوي أبو محمد ، معالم التنزيل (تفسير البغوي) ج١/ص١٩١.

[٤٦] هل يجوز إطلاق لفظة (تبارك) على غير الله؟ ملتقى أهل الحديث، موقع ahlalhdeeth.com.

معنى التسبيح لغةً– من سَبَّح يُسَبِّح، فأصلُ التَّسْبِيح التَّنزيه والتبرئة من النَّقائِص، وتأتي في معنى التبعيد، كما جاء في معناه: عجبًا له إذا يَفْخَر. وهذا قريب من ذاك لأنَّه تبعيد له من الفَخْر، وفي التنزيه تبعيد.

واصطلاحاً– يعني في الشرع: تنزيه الله تعالى قولاً واعتقادًا عن كل ما لا يليق به بمعنى: تنزيه الله من السُّوء: تَبْعِيده منه، وكذلك تسبيحه: تبعيده، من قولك: سَبَحْتُ في الأرض إذا أَبْعَدْتَ فيها، والتسبيح قول: سبحان الله، أي: أنزه الله، وفيه تعظيم له: وهذا يتضمن نفي النقائص، فالنفي لا يكون مدحًا إلا إذا تضمن ثبوتًا، وإلا فالنفي المحض لا مدح فيه، ونفي السوء والنقص عنه يستلزم إثبات محاسنه وكماله ولله الأسماء الحسنى، فالتسبيح المتضمن تنزيهه عن السوء ونفي النقص عنه يتضمن تعظيمه، وقول "سبحان الله" يستعمل كثيرًا في مقام التعجب.

وتوصلت الدراسة إلى وجوه التسبيح الواردة في القرآن الكريم ومنها:

١. تنزيه الله من ذلك {إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ}[الأعراف٢٠٦]. وقوله عز من قائل {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}[الأعلى١].

٢. الصلاة، ومما يدل على ذلك حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا عند النبي فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِى رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا)[٤٧]، ثم قرأ {فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ}[طه١٣٠]، واستدل بعضهم لهذا المعنى بقول الله {فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ}[الصافات١٤٣]، قيل: كان من المصلين، وقيل: كان من المسبحين حقيقة بقوله: سبحانك إني كنت من الظالمين، ويكثر في القرآن العظيم إطلاق التسبيح على الصلاة، بل نُقل عن بعضهم: كل تسبيح في القرآن فهو صلاة.

وقد أُثِرَ عن الصحابة رضوان الله تعالى عنهم أجمعين التعبير عن الصلاة بالتسبيح، وخاصة صلاة التطوع، كما في حديث ابن عمر في الصحيحين قال: كان رسول الله يُسَبِّح على الراحلة قبل أي وجه توجه، ويوتر عليها، غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة[٤٨].

وقد يكون التّسبيح بمعنى الصلاة، والعرب تستعمله بهذا المعنى يعني الصلاة بالصباح والمساء، وسبب تسميتها تسبيحًا، سميت تسبيحًا لأن التسبيح تعظيم الله وتبرئته من السوء، والصلاة يوحَّد الله فيها ويُحمد ويُوصف بكل ما يبرئه من السوء، كما أن الصلاة تشتمل على تسبيح الله في أعظم واجباتها، فتبتدئ الصلاة به حين القيام بعد تكبيرة الإحرام وفي

[٤٧] النووي، يحيى بن شرف أبو زكريا النووي، شرح النووي على مسلم، ص٢٧٣.

[٤٨] محمد بن فتوح الحُميدي، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، ج٢/ص١٥٠.

الركوع وفي السجود.

٣. الاستثناء: والدليل قوله تعالى {قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ}[القلم٢٨]، أي: تستثنون، وتقولون: إن شاء الله، ويدل على ذلك قوله تعالى قبل ذلك {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ}[القلم١٧-١٨]، فكان استثناءهم تسبيحًا، بل هو جوهر التسبيح والدليل قال تعالى {قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ}[القلم٢٩].

والتسبيح نوع من ذكر الله، ويطلق على الذكر عمومًا، فقد يطلق التَّسْبيح على غيره من أنواع الذّكر مجازًا، كالتَّحْميد والتَّمْجيد وغيرهما، وهو من إطلاق الجزء وإرادة الكل.

ب. النتائج العلمية:

لا شكّ ولا ريب في أن المصطلحات الدينية مقتضبة من القرآن الكريم أولاً هذا الكتاب العظيم هو كتاب الله المنزل على نبيه المرسل لهداية الناس وإرشادهم وتزكيتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وهو كتاب دستور لجميع البشرية من زمن نزوله إلى الأبديّة، وهو الفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل، والتبيان لكل شيء، والهادي لسبل الخير والصلاح، والمحذّر من كل شرّ وضلال، وهو كتاب الله القويم الذي لا يعتريه أي خطأ واشتباه، ولا تمسّه أيدي المضلّين، وهو الرابط بين الخالق وخَلقِه، والمبيّن لأحكام الله وشرائعه، وهو الكتاب الذي أعجز الكل من الجنّ والإنس من أن يأتوا بمثله حتى سورة واحدة وأخبرهم بأنهم لا يقدرون على ذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}[الإسراء٨٨]، وهو الكتاب الذي بشّر المتقين بالرحمة والرضوان وأوعد الكافرين بالغضب والنيران، وهو الكتاب الذي له مناحي وألوان في الإعجاز، وتأويلات عديدة، كما أخبر الله سبحانه عنه {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}{آل عمران٧]، ولتنوير البشرية بمفاهيمه ومعانيه وتطبيقه على مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية اهتمَّ المسلمون حين صدوره من المشرّع الحكيم إلى نبيه الكريم سيدنا مُحَمَّد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام في حفظه وتفسيره، وهذا الاعتناء والاهتمام قد استمرّ بعد وفاته صلوات الله عليه قرناً بعد قرن، فأخذ علماء الإسلام دقائق تفسيره ومعانيه من معادن الحكمة والثقل الآخر للكتاب الكريم اللذين تركهما سيدنا النبي مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام، وأخبر بأنهما لن يفترقا، وأطلق عليهما الوحيين عن المقدام بن معدي كرب عن رسول الله ﷺ أنه قال (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السبع ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فله أن يعقبهم

بمثل قراه)[٤٩]، ومعنى أوتيت الكتاب ومثله معه: يعني وحي غير متلو ويقصد السُنَّة المطهرة، وهذه السيرة المباركة مستمرّة إلى يومنا هذا وإن شاء الله ستستمرّ إلى أبد الأبدين وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

وأيضاً من نتائج الدراسة: التسبيح هو اصطلاح قرآني افتتحت به بعض سور القرآن الكريم بصيغ مختلفة وجاء الأمر به ومدح القائمين به فعلاً أو قولاً، هذا من حيث أصله، لكني لم أجد أي دراسة تتبعت المصطلح وبينت دلالاته وأبعاده فبرهنت هذه الدراسة أنَّ الأصل في استخدامها جاء في القرآن الكريم كتاب العربية الأول ومعجمها التركيبي الذي لا يبارى، لأنه من لدن حكيم خبير، وثانيا ما جاء في السُنَّة النبوية المطهرة.

إذن، لا يمكن بحال من الأحوال الاستغناء عن فهم المصطلحات الدينية والتي مصدرها الأصلي الكتاب المبين، ومُبيّن الكتاب المبين سيدنا النبي مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام، لما اختصه الله به من العلم والحكمة، وأنزل فيه ثناءه المجيد، ومن بعده علماء الأُمة وفي مقدمتهم أصحابه الكرام، حيث قال الله جلَّ اسمه {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الْأَلْبَابِ} [الزمر٩].

وبهذا التوضيح الذي تجمعت فيه أصالة المصطلحات مع بيان دلالاتها وأبعادها وانعكاساتها الدينية نكون قد أوفينا الموضوع حقه، لا سيما أني لم أعثر على دراسة تتبعت المصطلحات آنفة الذكر كما هو مبين في متن الدراسة، والحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات.

قائمة المصادر

أ. ي. ونسنك وآخرون، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة وعن مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل، مطبعة بريل في مدينة ليدن، ١٩٦٩م.

إبراهيم مصطفى وزملاؤه، المعجم الوسيط، دار الدعوة، تحقيق مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٤، ١٤٢٥هـ.

ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمود مُحَمَّد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ.

[٤٩] أبو داوود، سُنن أبي داود، برقم، ٤٦٠٤.

ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، زاد المسير، في علم التفسير، تحقيق عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ.

ابن العربي، القاضي مُحَمَّد بن عبد الله أبو بكر المعافري الاشبيلي المالكي، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه مُحَمَّد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤هـ.

ابن بَرَجَّان عبد السلام بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد اللخمي الاشبيلي، تفسير ابن برجان المسمى (تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبأ العظيم، بيروت، دار الكتب العلمية، د، ت.

ابن حبان، مُحَمَّد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، البُستي، صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط الناشر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ.

ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

ابن دريد أبو بكر مُحَمَّد بن الحسن الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧م.

ابنَ سِيدَة أبو الحسن علي **بن** إسماعيل المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ.

ابن عبد البر أبي عمر يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، دار قتيبة- دار الوعي، ١٤١٤هـ.،

ابن عطية عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبدالشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ.

الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت الطبعة،ط١٤١٢،١هـ.

ابن علان، الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.

ابن كثير إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن مُحَمَّد السلامة، دار طيبة، ١٤٢٠هـ.

ابن ماجة مُحَمَّد بن يزيد بن ماجه القزويني أبو عبد الله، سُنن ابن ماجة، تحقيق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، مصر، دار إحياء الكتب العربية (فيصل عيسى البابي الحلبي)، د، ت.

ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ

أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، السُنن، تحقيق مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد الناشر، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، د، ت.

أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الضرير الحيري النيسابوري، وجوه القرآن الكريم، تحقيق فاطمة يوسف الخمي، دمشق، دار السَّقا، ط١، ١٩٩٦م.

أبو عمر أحمد العسكري، الصيغ الواردة في ذكر الله تعالى، www.ajurry.com.

أحمد إبراهيم الهواري، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، dar-ein.com.articles.

أحمد الريسوني، مدخل إلى مقاصد الشريعة سنة النشر، ١٤٣١هـ.

أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط٢، ١٤١٢هـ.

أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة الطبعة، ط١، ١٤٢١هـ.

أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام مُحَمَّد هارون الناشر، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

أحمد كلحي، موسوعة إعراب القرآن الكريم، موقع http://ahmadkelhy.blogspot.my/2012/12/blog-post_4399.html

أحمد مختار عمر، المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، مؤسسة سطور المعرفة، ط١، ١٤٢٣هـ.

أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المُعاصرة، القاهرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ.

الأزهري، مُحَمَّد بن أحمد الهروي، معجم تهذيب اللغة، تحقيق مُحَمَّد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م.

الأصبهاني، إسماعيل بن مُحَمَّد، إعراب القرآن، تحقيق فائزة بنت عمر المؤيد، السعودية، دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٥هـ.

أيوب جرجيس العطية، الخطاب القرآني بين إشكالية الفهم ودلالة النص، بيروت، دار الكتب العلمية، د، ت.

البخاري مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري أبو عبد الله، صحيح البخاري، دمشق- بيروت، دار ابن كثير، ١٤٢٣هـ.

البغوي، الحسين بن مسعود البغوي أبو مُحَمَّد ، معالم التنزيل (تفسير البغوي) دار طيبة، تحقيق مُحَمَّد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، ١٤٠٩هـ.

الترمذي مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى، الجامع الكبير سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.

الجرجاني، علي بن مُحَمَّد، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأنباري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٣هـ.

جنان منصور كاظم الجبوري، التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني، أُطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد)، ٢٠٠٥م.

جوهري طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، المكتبة الإسلامية، ط٤، ١٩٧٤م.